دمج الأطفال ذوى الحاجات الخاصة مع الأطفال العاديين

لم يكن الأطفال المعوقين يجدون أى اهتمام بتعليمهم وتربيتهم كما ذكرنا ، ولكنهم عندما نالوا قدراً من الاهتمام ووضعت الحكومات نظماً لتعليم هؤلاء الأطفال ، فإنها أنشأت لهم مدارس خاصة بهم ، باعتبارهم فئة "مختلفة" عن الأطفال الآخرين من العاديين . وأصبح هؤلاء يتلقون تعليمهم فى مدارس خاصة بهم ، فيما يعرف بسياسة العزل فى التعليم لهؤلاء الأطفال . وظلت هذه السياسة سائدة على مستوى العالم حتى بدايات القرن العشرين ، حتى نادت بعض الأصوات بإنهاء عزل تعليم هؤلاء الأطفال وإدماجهم بشكل أو بآخر مع الأطفال العاديين فى التعليم . ومن هذه اللحظة يحتدم النقاش بين النظامين لتعليم الأطفال ذوى الحاجات الخاصة : نظام العزل ونظام الدمج . وتتباين الأنظمة التعليمية كذلك فى درجة اتباعها لهذا النظام أو ذلك . وفيما يلى سنشير إشارة سريعة إلى المنطلقات التى ينطلق منها مؤيدو نظام العزل ، ثم نشير إلى الانتقادات التى توجه إلى هذا النظام ، ثم تتحدث عن المنطلقات التى يعتمد عليها مؤيدو نظام الدمج .

أ – منطلقات سياسة العزل :

يستند المربون الذين يؤيدون تعليم الأطفال المعوقين بمعزل عن رفاقهم من العاديين إلى بعض الحجج أو الاعتبارات منها :

1- أن نظام العزل يناسب الظروف الاقتصادية لكثير من المجتمعات النامية التى تعانى ظروفاً اقتصادية صعبة لا تمكنها من تحويل المدارس العادية وإمدادها بالمعدات والأجهزة والأدوات والكفاءات البشرية المدربة المؤهلة للقيام بتعليم الأطفال ذوى الحاجات الخاصة ، ودمجهم مع الأطفال العاديين .

2- إن نظام العزل وتربية الأطفال ذوى الحاجات الخاصة منفصلين عن أقرانهم العاديين أمر لابد منه لذوى الإعاقات الحادة . وإن نظام الدمج بين المعوقين والعاديين لا يصلح إلا للأطفال ذوى الإعاقات البسيطة أو الهينة أو الذين هم على الحدود ، كالذين يعانون من بعض صعوبات التعلم أو ممن يعانون ضعفاً فى البصر ، أو ضعفاً فى السمع .

3- أن نظام العزل فى تربية الأطفال ذوى الحاجات الخاصة فى مدارس خاصة بهم يمكن السلطات

التعليمية من إمكانية مواجهة حاجاتهم التربوية ، خاصة إذا ما تجمعوا فى أعداد قليلة فى الفصل الدراسى ، ويقوم بتعليمهم معلمون تدربوا على تعليم هذه الفئة من الأطفال . كما يسهل إعداد برامج ومناهج تعليمية خاصة بهم .

وقد تمت سياسة العزل فى تعليم الأطفال ذوى الحاجات الخاصة تحت شعارات أو فى ظل فلسفات خاصة فى فترات متتابعة كما يلى :

- فهى قد تمت فى البداية مقترنة بازدراء هؤلاء الأطفال ونبذهم وتجنيب المجتمع لشرورهم .

- ثم هى قد تمت بعد ذلك بدوافع الإحسان والشفقة باعتبار هذه الفئة من الضعفاء والمعوذين .

- ثم تمت فى ظل إنشاء مدارس ومؤسسات خاصة بهم لتكفل حقوقهم فى التعليم والرعاية على نحو أفضل .

- ثم تمت فى ظل الاعتقاد بأن الأطفال المعوقين فى مجرى تعليمى خاص بهم يقلل من أثر الإعاقة التى أصيبوا بها ، ويساعد على تعليمهم ونموهم وتحقيق توافقهم بشكل أفضل .

- ثم تمت فى ظل النتيجة التى تقول أن تربية الأطفال المعوقين فى فصول خاصة بهم . يعفى هؤلاء الأطفال من سخرية زملائهم العاديين وانتقادهم لهم ، وحماية لهم من مشاعر الاستنكار والنبذ . ومن ثم يحقق نظام العزل فى التعليم حماية الأطفال المعوقين من تنمية مشاعر النقص والدونية التى يمكن أن تنشأ من جراء دمجهم مع الآخرين من العاديين (كفافى ، 2004 ، 7) .

ب- انتقادات توجه إلى نظام العزل :

1- يرى الكثير من المربين أن نظام العزل فى تنشئة الأطفال ذوى الحاجات الخاصة وتعليمهم يجنى على هؤلاء الأطفال . وأول هذا الجنايات هو وصم هؤلاء الأطفال بسمات العجز والقصور ، وذلك أن التعليم فى مؤسسات خاصة منفصلة عن المؤسسات التى يتعلم فيها الأطفال العاديون يعنى أنهم أمام أنفسهم وأمام زملائهم من العاديين وأمام المجتمع فئة من الأطفال مختلفون عن الآخرين أو العاديين اختلافاً كبيراً وشديداً يستأهل عزلهم فى تعليمهم . والمشكلة أو المفارقة الكبرى أنهم بعد هذا التعليم المنعزل سيدخلون المجتمع فيندمجون فيه ويحتكون مع الآخرين العاديين الذين تربوا بعيداً عنهم .

2- يتجاهل نظام العزل فى تعليم الأطفال المعوقين حقيقة هامة وهى أن الإعاقة أو العطب يصيب

فقط بعض جوانب الشخصية . بمعنى أن هناك جوانب سليمة فى شخصية الطفل يمكن تنميتها . وهذا يعنى أن الطفل الذى يعانى من إعاقة معينة – رغم التأثير العام الذى تحدثه الإعاقة فى مجمل الشخصية – فإنه قد يكون متفوقاً أو متوسطاً فى جوانب أخرى قابلة للتنمية والشحذ . هذا مع العلم بأن الإعاقة ليست قدراً لا يمكن دفعه أو التقليل من أثاره السلبية ، فمع التقدم العلمى ومع المزيد من الإيمان بحقوق هؤلاء الأطفال فإن الخدمات التى تقدم لهم تظل فى حالة تحسن وتقدم باستمرار ، حتى لتكاد أن تلغى الآثار السلبية الوخيمة التى يمكن أن تترتب على الإعاقة .

3- لا ترى النظرة المعاصرة لمشكلة الإعاقة أن الفروق بين المعوقين والعاديين فروقاً تبرر تعليم المعوقين فى عزلة وإبعادهم عن العاديين ، بل ينبغى أن ننظر إلى هذه الفروق بين المعوقين والعاديين نظرتنا إلى الفروق القائمة بين العاديين أنفسهم .

4- يرى المنتقدون لسياسة العزل أن هذه السياسة توفر خدمات قاصرة للمعوقين لأن تكلفة إنشاء مدارس خاصة لهؤلاء الأطفال تكلف المبالغ الكثيرة التى لا تتناسب مع عدد الأطفال الملتحقين بهذه المدارس . ومن هنا فإن عدد المدارس المنشأة فى ظل تربية العزل قليلة ، وتكون فى عواصم المحافظات عادة . ويترتب على ذلك ألا يستفيد منها إلا عدد محدود وهو الذى يسكن بالقرب منها . ولذا يقال أن ما يقرب من نصف الأطفال المعوقين لا يستفيدون من هذه الفرص التعليمية إذا استثنينا الدول المتقدمة كالولايات المتحدة .

5- يترتب على النقطة السابقة أن تكاليف تعليم الطفل غير العادى تكون عالية جداً . ويقدر الخبراء فى اقتصاديات التربية أن الطفل المعوق يكلف فى تعليمه ما يقابل تعليم 15 طفلاً من الأطفال العاديين .

6- تنظر التشريعات الدولية ومن قبلها التشريعات والتوجهات الدينية والمواثيق الأخلاقية أن للطفل المعوق نفس الحقوق التى للطفل العادى . فالقانون والعرف والدين والأخلاق ترى أن الطفل المعوق إمكانيات وقدرات مهما كانت متواضعة ، ومن حقه أن توفر له السلطات التعليمية من الفرص ما ينمى إمكانياته وقدراته إلى أقصى حد ممكن .

جـ – منطلقات سياسة الدمج :

يستند المربون الذين يدعون إلى تطبيق أنظمة الدمج فى تربية الأطفال المعوقين بمعزل إلى بعض

الاعتبارات منها :

1- يحقق نظام الدمج أيا كان مستواه أو درجته بعض الفوائد بالنسبة للطفل المعوق . وأول هذه الفوائد أن هذا الطفل سيجد التقبل من زملائه العاديين . فلوجوده بجانبهم ومشاركته لهم فى النشاط قد يسمح بنمو بعض الاتجاهات الإيجابية بينه وبينهم على عكس نظام العزل الذى كان ينمى اتجاهات سلبية عند الأطفال العاديين نحو الطفل المعوق . كما أن نظام الدمج يحول دون إلصاق الوصمة الاجتماعية بالطفل المعوق ، والتى يمكن ألا ينجو منها هذا الطفل فى مستقبل حياته فيما بعد .

2- ييسر نظام الدمج للطفل المعوق أن يتعلم بعض أساليب سلوكية إيجابية مع احتكاكه بزملائه من العاديين . وفى ظل نظام الدمج فإن الفرصة متاحة أمام الطفل المعوق لأن يتعلم مهارات اجتماعية أقرب إلى المهارات السائدة فى الحياة الواقعية ، مما ينتهى فى نهاية المطاف إلى حسن تقدير الطفل المعوق لنفسه وتعزيز مفهومه الإيجابى عن ذاته ، بدلاً من الإحساس بالنقص والدونية والذى قد يتكون لديه فى ظل نظام العزل التعليمى .

3- يحقق نظام الدمج أيضاً فوائد أو نتائج إيجابية بالنسبة للطفل العادى ، وأولها أنه يكون على استعداد لتكوين اتجاهات إيجابية نحو الإعاقة ونحو الطفل المعوق من جراء الاحتكاك به ، وتبين أوجه الاتفاق والتشابه الكبير بينهم وبينهم ، على الرغم من وجود بعض الاختلافات التى تترتب على الإعاقة ، وهى الاختلافات التى تتضخم فى ظل التربية الانعزالية ، والتى تمهد لتكوين الاتجاهات السلبية غير الواقعية نحو الإعاقة والمعوقين .

4- فى ظل نظام الدمج يوسع الطفل العادى من دائرة معارفه من الأشخاص والمعلومات والحقائق فى الحياة ويفهم الفروق الفردية أو الفروق بين الناس بشكل أفضل وأوقع مما يساعده على حسن التعامل مع أفراد المجتمع بشكل أكثر فاعلية .

5- يزيل نظام الدمج التناقض بين ما يجرى فى الحياة وما يجرى على مستوى الإعداد للحياة فى المدرسة . فالدمج هو النظام السائد فى الحياة أو هو طبيعة الحياة ، وهو ما ينبغى أن يكون سائداً فى التعليم والإعداد للحياة بدلاً مما يحدث من الفصل بين العاديين وغير العاديين فى ظل التربية الانعزالية . فالدمج يجعل الأمور طبيعية بين الأطفال جميعاً ويجعلهم يتقبل بعضهم بعضاً ، مما قد يولد فيهم مشاعر إيجابية عند كل فريق نحو الآخر ، مما يمهد لنشأة علاقات ودية بينهم . كما أنه لا يبهج آباء الأطفال المعوقين أكثر من أن يروا أبنائهم يندمجون مع الأطفال العاديين على نحو طبيعى ، مما يخفف من آثار الإعاقة السلبية عليهم .

6- يتجاوب نظام الدمج مع التوجيهات الديمقراطية ويتماشى معها ، حيث أن الأطفال المعوقين يحققون مواطنتهم بشكل شبه كامل ، حين يشاركون مشاركة فعالة فى الحياة الاجتماعية ، ويزيد انتماؤهم للمجتمع الذى يحفظ لهم حقوقهم ويصون كرامتهم .

7- يحقق نظام الدمج فوائد تربوية عامة تعليمية وتعلمية ، فإن المعلم مثلاً ينمو مهنياً وتربوياً من خلال العمل فى فصل يتعلم فيها الأطفال العاديين والأطفال المعوقين معاً ، حيث يتعلم المعلم أن ينوع من أساليب تعليمه وتعامله مع الأطفال المتنوعين . كما أنه – مع تراكم الخبرة – يمكن أن يكون محصلة من الخبرات مما يسمح له بالإبداع والإتيان بالجديد فى هذا السبيل ، ويجعله أكثر قدرة على تعليم الجميع بمن فيهم الأطفال العاديون وغير العاديين .

8- ينطلق مؤيدو الدمج من أن تعلم الأطفال المعوقين يمكن أن يكون أفضل مما هو فى ظل نظام العزل ، حيث يتاح لهم الفرصة فى ظل الدمج من أن يقلدوا ويقتدوا بنماذج الأقران العاديين على نحو طبيعى . وبالتالى فهم يتعلمون – خاصة السلوك الاجتماعى – على نحو غير مجهد وبشكل تلقائى . وهذا التقليد يوصلهم إلى نجاحات – قد لا يصلون إليها فى ظل نظام العزل – من شأنها أن تزيد دافعيتهم إلى تحقيق المزيد من النجاح .